منزلة السنة النبوية من القرآن الكريم وعناية الصحابة والتابعين بها

بحث علمي مقدم من د/ هشام سيد مرسي سلطان

مدرس الحديث وعلومه - كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين بقنا

مقدمة البحث

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وخاتم النبيين سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين ومن سار على نهجه إلى يوم الدين .

لقد أرسل الله عز وجل رسوله ﷺ إلى الناس أجمعين فقال عز شأنه على لسان نبيه ﷺ (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا .....[1]) الآية .

وأنزل عليه القرآن الكريم فقال تبارك اسمه (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا[2] .....) الآية .

وأمره ببيان ما أحكمه في كتابه فقال تعالى (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ[3] .....) الآية .

وأمر عباده بطاعة رسوله ﷺ فقال عز شأنه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ)[4] .

---

(١) جزء من الآية رقم (١٥٨) سورة الأعراف .

(٢) جزء من الآية رقم (٧) سورة الشورى .

(٣) جزء من الآية رقم (٤٤) سورة النحل .

(٤) آية رقم (٣ ، ٤) في سورة محمد .

وأخبر عز شأنه بأن كل ما جاء عنه ﷺ هو وحى منه تبارك وتعالى فقال (وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحى يوحى) [١]

ولما كان غالب ما فى القرآن الكريم محكم يتعذر على الناس معرفة مراد الله منه ، أوحى الله عز وجل إلى رسوله ﷺ بيان ذلك .

وأوجب علينا طاعة رسوله ﷺ واتباع أمره فقال عز شأنه (فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون) [٢]

فرسول الله ﷺ هو المبين بسنته مراد الله عز وجل فى كتابه ، ومن ابتغى البيان من غير رسول الله ﷺ ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، ولكان من الضالين الذين حادوا عن الصراط المستقيم فانظر على سبيل المثال : هل يستطيع أحد ان يستخرج من القرآن الكريم عدد ما فرضه الله علينا من الصلوات فى اليوم والليلة . أو عدد ركعات كل فريضة ووقتها ، أو كيفية الصلاة فمثل هذا وغيره كثير ولولا بيان الرسول ﷺ له ما استطعنا لمعرفته سبيلا .

ولذا يقول الإمام الشافعى رحمه الله " أحكم الله فرضه فى كتابه فى الصلاة والزكاة والحج وبين كيف فرضه على لسان نبيه ﷺ فأخبر رسول الله ﷺ ان عدد الصلوات المفروضات خمس واخبر أن عدد الظهر والعصر والعشاء فى الحضر أربع ، وعدد المغرب ثلاثة ، وعدد الصبح ركعتان ..... [٣] " الخ .

وها هو ذا الإمام سعيد بن جبير رحمه الله كان ذات يوم يحدث بحديث عن النبى ﷺ فقال له رجل : فى كتاب الله ما يخالف هذا .

---

[١] الآية رقم (٣،٤) من سورة النجم .

[٢] جزء من الآية رقم (١٥٨) سورة الأعراف .

[٣] الرسالة للإمام الشافعى ص١٧٦،١٧٧ .

فقال سعيد : " ألا أرانى أحدثك عن رسول الله ﷺ وتعرض فيه بكتاب الله ، كان رسول الله ﷺ أعلم بكتاب الله منك". [١]

وكان الأمام مُطَرِّف بن عبد الله بن الشخير يحدث عن النبى ﷺ

فقال له رجل : لا تحدثونا إلا بما فى القرآن .

فقال له مُطَرِّف : " إنا والله ما نريد بالقرآن بدلاً ، ولكنا نريد من هو أعلم بالقرآن منا " [٢] ومن هذا نعلم أن السنة النبوية صنو القرآن الكريم فى وجوب العمل بها وحجية الاستدلال ولا يصح إسلام من عمل بما جاء فى القرآن الكريم وأنكر ما جاءت به السنة النبوية .

كما لا يصلح إسلام من شهد لله عز وجل بالوحدانية ولم يشهد للنبى ﷺ بالرسالة ، ولا يلتفت لأقوال الضالين الذين يخرجون عن جماعة المسلمين فينادون بالعمل بما جاء فى القرآن الكريم فحسب والإعراض عن ما جاء به رسولنا الأمين ﷺ . كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا .

ولبيان كذب هؤلاء الضالين ، وللدفاع عن سنة سيد المرسلين ﷺ قمت بعمل هذا البحث المتواضع وإن كان قد كتب فيه أساتذة كرام إلا أننى أردت أن أرمى معهم بسهم ، وأدلى فى هذا المضمار بدلو حتى أنال من الله عز وجل الأجر .

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن أسير فيه على النحو التالى :

أولاً : التعريف بالسنة النبوية فى اللغة والاصطلاح .

ثانياً : بيان منزلة السنة النبوية من القرآن الكريم .

---

(١) أخرجه الدرامى فى المقدمة باب السنة قاضية على كتاب الله جـ١ ص١٤٥ .

(٢) أخرجه ابن عبد البر فى جامع بيان العلم باب موضع السنة من الكتاب وبيانها له بنحوه جـ٢ ص١٩١ .

ثالثاً : بيان عناية الصحابة رضوان الله عليهم بالسنة النبوية .

رابعاً : بيان حفظ الصحابة رضوان الله عليهم للحديث النبوى وتثبتهم فى قبوله .

خامساً : تنزيل الصحابة السنة النبوية منزلة القرآن الكريم فى العمل والاستدلال .

سادساً : موقف التابعين رحمة الله عليهم من السنة النبوية .

ولقد راعيت فى هذا البحث الاختصار مع الإفادة لأن خير الكلام مـــا قـــل ودل ، واقتصرت على تلك الدعائم التى توضح لنا مكانة السنة النبوية من القرآن الكريـــم ، الأمر الذى جعل الصحابة و التابعين التابعين يهتمون بها كاهتمامهم بالقرآن الكريـــم موضحين بذلك لمن خلفهم السبيل الذى ينبغي أن يسلكوه تجاه السنة النبوية ، كـــى يفوزوا بسعادة الدارين ، ويحظوا بشرف الدفاع عن الأصلين ، إذ هما عمـــاد الديـــن وذروة سنامه .

فالله أسأل أن يهدينى سواء السبيل ويجعلنى من خدمة سنة نبيه الأميـــن ﷺ ويحشرنى مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصـــالحين ، اللهم آمين .

د/ هشام سيد مرسى

منزلة السنة النبوية من القرآن الكريم

وعناية العلماء بها

أولا : السنة فى اللغة :

تطلق على الصورة والوجه [١] وتطلق على السيرة [٢] وكذا تطلق على الطريق ، وجمعها سنن ، وأهل السنة الذين يأخذون المأثور فى الشريعة [٣] .

السنة فى اصطلاح المحدثين تطلق على كل ما أضيف إلى النبى ﷺ من قول او فعل او تقرير او صفة خِلقية أو خُلقية [٤] وهذا هو رأى الجمهور ، وقد تطلق السنة عند بعض المحدثين على ما عمل به أصحاب الرسول ﷺ سواء ذلك فى الكتاب الكريم أم فى المأثور عن النبى ﷺ أم لا . [٥]

ثانيا : منزلة السنة النبوية من القرآن الكريم :-

من المعلوم أن السنة النبوية تعد المصدر الثانى فى التشريع الإسلامى ، فهى تحتل المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم ، لأن القرآن الكريم مقطوع به جملة وتفصيلاً. بخلاف السنة النبوية فمقطوع بها جملة لا تفصيلاً .

والسنة النبوية تنزل من القرآن الكريم منزلة الروح من الجسد ، فكلاهما لا يستغنى عن الآخر . ولهذا كان مصدرهما واحداً . فهما من عند الله عز وجل ، وإن كان بينهما اختلاف يسير ، فالقرآن الكريم لفظه ومعناه من عند الله . والسنة النبوية فلفظها من النبى ﷺ ومعناها من عند الله عز وجل . ونزلا بطريقة واحدة ، وهى

---

[١] لسان العرب فصل السين جـ١٣ ص٢٢١ ط دار صادر بيروت .

[٢] مختار الصحاح فى مادة سنن ص١٥٧ ط دار المنار .

[٣] المعجم الوجيز فى مادة سنن ص٣٥٢ بتصرف ط وزارة التربية والتعليم .

[٤] الحديث والمحدثون ص١٠ بتصرف ط دار الكتاب العربى لبنان بيروت .

[٥] السنة قبل التدوين ص١٨، ١٩ بتصرف ط دار الفكر .

طريقة الوحى وإن اختلفا فى كيفية النزول ، فالقرآن الكريم نزل كله بالوحى الجلى ، بواسطة جبريل عليه السلام حيث قال تبارك اسمه ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربى مبين [١]﴾ الآية

أما السنة النبوية فمنها ما نزل كذلك فقد روت السيدة عائشة ﷺ أن الحارث ابن هاشم رضى الله عنه سأل رسول الله ﷺ

فقال : يا رسول الله كيف يأتيك الوحى ؟ فقال رسول الله ﷺ

" أحياناً يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو أشده علىّ فيفصم عنى وقد وعيت عنه ما قال وأحياناً يتمثل لىّ الملك رجلا فيكلمنى فأعى ما يقول [٢] "

ومن السنة ما نزل عن طريق الرؤيا فى النوم فقد روى عروة بن الزبير ﷺ عن عائشة أم المؤمنين ﷺ أنها قالت : " أول ما بدء به رسول الله ﷺ من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم .... [٣] " الحديث ومن السنة ما نزل عن طريق النفث فى الروع فقد روى عن أبى أمامة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : " إن روح القدس نفث فى روعى [٤] أن نفسا لن تموت حتى تستكمل اجلها وتستوعب رزقها ، فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب .. [٥] " الحديث .

---

[١] آية رقم ١٩٢، ١٩٥ من سورة الشعراء .

[٢] أخرجه البخارى فى كتاب بدء الوحى باب رقم ٢ عنها رضى الله عنها بلفظه جـ١ ص٢٥، ٢٦ ومسلم فى كتاب الفضائل باب طيب عرقه ﷺ والتبرك به عنها بنحوه جـ١٥ ص٨٨ .

[٣] أخرجه البخارى فى كتاب بدء الوحى باب رقم ٣ عنها رضى الله عنها بلفظه جـ١ ص٣٠، ٣١ ومسلم فى كتاب الإيمان باب بدء الوحى إلى رسول الله ﷺ عنها بنحوه جـ٢ ص١٩٧، ٢٠٤ .

[٤] الرَّوْع بالضم : القلب والعقل ، ويقال وقع ذلك فى رُوعى أى فى خَلَدى وبالى مختار الصحاح فى مادة روع ص١٣٥ .

[٥] أورده العجلونى فى كشف الخفا وعزاه إلى أبى نعيم والطبرانى . وقال : صححه الحاكم عن ابن مسعود كشف الخفاء جـ١ ص٢٣١ بتصرف .

وعلى هذا فالسنة النبوية وحي من عند الله تعالى كالقرآن الكريم . ولذا يقول المولى تبارك اسمه ﴿وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى [١]﴾ فهذا إخبار من المولى عز وجل يبين لنا أن كل ما نطق به النبي ﷺ وحي من عنده . سواء أكان ذلك قرآناً أم سنة .

وهاهو ذا رسولنا ﷺ يوضح لنا ذلك جلياً فيما رواه عنه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما حيث قال : " كنت أكتب كل شئ أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه ، فنهتني قريش وقالوا ، أتكتب كل شئ تسمعه ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضا ، فأمسكت عن الكتاب ، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ ، فأومأ بإصبعه إلى فيه فقال : " اكتب فو الذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق [٢] .

ولما كان الأمر كذلك نجد المولى عز وجل يأمرنا بأخذ كل ما جاء عن النبي ﷺ والبعد عن ما نهى عنه فقال تبارك اسمه ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا . . .[٣]﴾ الآية . وكذا يأمرنا المولى تبارك وتعالى بطاعة رسوله ﷺ فقال عز شأنه ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم[٤] . . .﴾ الآية

يقول الإمام ابن قيم الجوزية مبيناً فائدة إعادة الفعل في تلك الآية على الرسول ﷺ دون أولي الأمر فقال : " وأعاد الفعل إعلاماً بأن طاعة الرسول ﷺ تجب استقلالاً من غير عرض ما أمر به ﷺ على كتاب الله تعالى ، بل إذا أمر وجبت طاعته مطلقاً ، سواء كان ما أمر به في الكتاب أو لم يكن فيه ، فإنه ﷺ أوتي الكتاب ومثله معه ، ولم يأمر بطاعة أولي الأمر استقلالاً بل حذف الفعل وجعل طاعتهم في ضمن طاعة الرسول ﷺ إيذاناً بأنهم إنما يطاعون لطاعة الرسول ﷺ فمن أمر منهم بطاعة الرسول ﷺ وجبت طاعته .

---

(١) آية رقم ٣، ٤ في سورة النجم .

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب العلم باب في كتابة العلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما وسكت عنه جـ٣ ص٣١٧ وأحمد في المسند عنه بنحوه جـ٢ ص١٦٢، ١٩٢ .

(٣) جزء من الآية رقم ٧ سورة الحشر .

(٤) جزء من الآية رقم ٥٩ سورة النساء .

ومن أمر بخلاف ما جاء به الرسول ﷺ فلا سمع له ولا طاعة ، كما صح عنه ﷺ أنه قال "لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق [١] ... " ...." [٢] أ هـ .

ولقد حذر المولى تبارك وتعالى من مخالفة أمر رسوله ﷺ فقال تبارك اسمه :

﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [3] الآية وننفى المولى تبارك وتعالى الإيمان عن الذين لا يلجأون إلى رسوله ﷺ فيما يختلفون فيه ، وكذا من لجأ إليه ولم يرضى بحكمه ﷺ فقال تبارك اسمه :﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[٤].

يقول الإمام ابن كثير عند تفسيره لتلك الآية : " يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول ﷺ فى جميع الأمور فما حكم به فهو الحق الذى يجب الانقياد له باطناً وظاهراً ... [٥] " الخ .

ويقول الإمام ابن قيم الجوزية : " أقسم سبحانه بنفسه على نفى الإيمان عن العباد حتى يحكموا رسوله ﷺ فى كل ما شجر بينهم من الدقيق والجليل ، ولم يكتف فى إيمانهم بهذا التحكيم بمجرده حتى ينتفى عن صدورهم الحرج والضيق عن

---

[١] أخرجه الإمام البخارى فى كتاب أخبار الآحاد باب ما جاء فى إجازة خبر الواحد الصدوق فى الأذان والصلاة .. عن على ﷺ أن النبى ﷺ بعث جيشاً وأمر عليهم رجلاً ، فأوقد ناراً وقال : ادخلوها ، فأرادوا أن يدخلوها وقال آخرون إنما فررنا منها ، فذكروا للنبى ﷺ ، فقال للذين أرادوا أن يدخلوها : " لو دخلوها لم يزالوا فيها إلى يوم القيامة " وقال للآخرين : " لا طاعة فى المعصية ، إنما الطاعة فى المعروف " انظر فتح البارى جـ١٣ ص٢٤٥، ٢٤٦ .
وأخرجه مسلم فى كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء فى غير معصية بنحو رواية البخارى جـ١٢ ، ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ .

[٢] أعلام الموقعين جـ١ ص٣٩ بتصرف .

[٣] جزء من الآية رقم ٦٣سورة النور .

[٤] آية رقم ٦٥ من سورة النساء .

[٥] تفسير ابن كثير جـ١ ص٥٢٠ .

قضائه وحكمه ، ولم يكتف منهم أيضاً بذلك حتى يسلموا تسليماً وينقادوا انقيادا [١] أ هـ .

ولما كانت السنة النبوية كذلك تكفّل الله عز وجل بحفظها مع القرآن الكريم فقال تبارك اسمه ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [٢] .

يقول فضيلة الدكتور عبد الغنى عبد الخالق رداً على من استدل بهذه الآية على أن الله عز وجل قد تكفّل بحفظ القرآن الكريم دون السنة .

فقال رحمه الله : " للعلماء في ضمير الغيبة فيه قولان :

أحدهما : أنه يرجع إلى محمد ﷺ فلا يصح التمسك بالآية حينئذ .

ثانيهما : أنه يرجع إلى الذكر . فإن فسرناه بالشريعة كلها من كتاب وسنة فلا تمسك بها أيضاً ، وإن فسرناه بالقرآن فلا نسلم أن فى الآية حصراً حقيقياً . أى بالنسبة لكل ما عدا القرآن ، فإن الله تعالى قد حفظ أشياء كثيرة مما عداه مثل حفظه النبى ﷺ من الكيد والقتل ، وحفظه العرش والسموات والأرض من الزوال إلى أن تقوم الساعة ، والحصر الإضافى بالنسبة إلى شئ مخصوص يحتاج إلى دليل وقرينة على هذا الشىء المخصوص ولا دليل عليه سواء أكان سنة أم غيرها ، فتقدم الجار والمجرور ليس للحصر وإنما هو لمناسبة رؤوس الآى .

بل لو كان فى الآية حصر إضافى بالنسبة إلى شئ مخصوص لما جاز أن يكون هذا الشىء هو السنة ، لأن حفظ القرآن متوقف على حفظها ومستلزم له ، بما أنها حصنه الحصين ودرعه المتين وحارسه الأمين وشارحه المبين ، تفصل مجمله

---

[١] أعلام الموقعين جـ١ص٤٢ .

[٢] آية رقم ٩ من سورة الحجر .

وتفسر مشكله وتوضح مبهمه وتقيد مطلقه وتبسط مختصره ، وتدفع عنه عبث العابثين ولهو اللاهين ، فحفظها من أسباب حفظه ، وصيانتها صيانة له [١] " أ هـ

ومما تقدم نعلم أن السنة النبوية وحى من عند الله تعالى كالقرآن الكريم ، وهى وإن كانت تلى القرآن الكريم فى الرتبة إلا أن بينهما ارتباطاً وثيقاً ، فلا يستغنى أحدهما عن الآخر ، فمنزلة السنة من القرآن كمنزلة الشهادتين لمن أراد دخول الإسلام ، فكما أنه لا يصح إسلام من شهد لله عز وجل بالوحدانية ولم يشهد لسيدنا محمد ﷺ بالرسالة . كذلك لا يصح إسلام من أخذ بالقرآن الكريم وأعرض عن السنة النبوية .

وكيف يستغنى عن السنة وهو الموضحة لما أبهم فى القرآن ، المبنية لمشكله المفصلة لمجمله ، المخصصة لعامه ، المقيدة لمطلقه .

ولهذا يقول المولى تبارك وتعالى مخاطباً نبيه ﷺ ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾ [٢] الآية .

يقول الإمام الشافعى موضحاً هذا البيان ووجوهه : " جماع ما أبان الله لخلقه فى كتابه مما تعبدهم به من وجوه " :

١ .فمنها ما أبانه لخلقه نصاً ، مثل جمل فرائضه فى أن عليهم صلاة وزكاة وحجاً وصوماً وأنه حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ونص الزنا والخمر ، وأكل الميتة والدم ولحم الخنزير ، وبين لهم كيف فرض الوضوء مع غير ذلك مما بُيِّن نصاً .

٢ .ومنه ما أحكم فرضه بكتابه وبين كيف هو على لسان نبيه ﷺ مثل عدد الصلاة والزكاة ووقتها ، وغير ذلك من فرائضه التى أنزل فى كتابه .

---

[١] حجية السنة ص ٣٩٠، ٣٩١ .

[٢] جزء من الآية رقم ٤٤ من سورة النحل .

٣.ومنه ما سن رسول الله ﷺ مما ليس فيه نص حكم ، وقد فرض الله فـــى كتابـــه طاعة رسوله ﷺ والانتهاء إلى حكمه .

٤.ومنه ما فرض الله على خلقه الاجتهاد فى طلبه ، وابتلى طاعتهم فـــى الاجتـــهاد كما ابتلى طاعتهم فى غيره مما فرض عليهم .. [١] " الخ .

و أما الإمام الشاطبى فيقول فى هذا : " قد بينت السنة مـــا أجمـــل ذكـــره مـــن الأحكام فى الكتاب ، إما بحسب كيفيات العمل ، أو أسبابه ، أو شروطه ، أو موانعـــه ، أو لواحقه ، أو ما أشبه ذلك ، كبيانها للصلوات علـــى اختلافـــها فـــى مواقيتـــها وركوعها وسجودها وسائر أحكامها ، وبيانها للزكاة فى مقاديرها وأوقاتها ، ونصـــب الأموال المزكاة ، وتعيين ما يزكى مما لا يزكى ، وبيان أحكام الصوم وما فيه ممـــا لم يقع النص عليه فى الكتاب ، وكذلك الطهارة الحدثية والخبثية ، والحج والذبـــائح والصيد وما يؤكل مما لا يؤكل ، والانكحة وما يتعلق بـــها مـــن الطـــلاق والرجعـــة والظهار واللعان ، والبيوع وأحكامها ، والجنايات من القصاص وغيره ، كـــل ذلـــك بيان لما وقع مجملاً فى القرآن [٢] " أ هـــ

ويقول العلامة الأستاذ الدكتور / محمد محمد أبو زهو موضحاً كيفية بيان السنة للقرآن : " أنزل الله القرآن الكريم هداية للناس فى أمور دينـــهم ودنيـــاهم ، ولكـــن بأسلوب إجمالى فى الغالب لا يمكن الوقوف منه على مراد الله عـــز وجـــل بطريـــق الوضوح . وقد وكل الله إلى نبيه محمد ﷺ أن يبلغ القرآن الكريم للناس ، وأن يبيـــن لهم بقوله وفعله ما يحتاج إلى البيان فقـــال ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ [٣] الآية .

---

[١] الرسالة للشافعى ص٢١، ٢٢ .

[٢] الموافقات للشاطبى جـــ٤ ص٢٥، ٢٦ بتصرف . دار الفكر العربى .

[٣] جزء من الآية ٤٤ سورة النحل .

وهو ﷺ إذ يبين للناس كتاب الله لا يصدر عن نفسه ولكن يتبع ما يوحى إليه من ربه ﴿ وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى [١] ﴾ ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله [٢] ﴾ فالسنة النبوية وظيفتها تفسير القرآن الكريم والكشف عن أسراره وتوضيح مراد الله تعالى من أوامره وأحكامه ، ونحن إذا تتبعنا السنة من حيث دلالتها على الأحكام التى اشتمل عليها القرآن إجمالاً أو تفصيلاً وجدناها ترد على هذه الوجوه الأربعة :

الأول :- أن تكون موافقة لما جاء في القرآن ، فتكون واردة حينئذ مورد التأييد ، ومن أمثلة ذلك : قوله ﷺ " اتقوا الله في النساء فإنهن عوان عندكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله [٣] "

الثانى : أن تكون بياناً لما أريد بالقرآن مثل الأحاديث التى جاء فيها تفصيل أحكام الصلاة والزكاة والصيام والحج وغيرها .

الثالث : أن تكون دالة على حكم سكت عنه القرآن مثل قوله ﷺ فى البحر (هو الطهور ماؤه الحل ميتته) [٤] .

الرابع : أنها تكون ناسخة لحكم ثبت بالكتاب مثل حديث (لا وصية لوارث) [٥] فإنه ناسخ لحكم الوصية للوالدين والأقربين الوارثين الثابت بقوله تعالى ﴿ كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين ﴾ [٦] .

---

[١] آية رقم ٣، ٤ من سورة النجم .

[٢] جزء من الآية ٨٠ من سورة النساء .

[٣] جزء من حديث طويل أخرجه مسلم فى كتاب الحج باب حجة النبى ﷺ عن جابر بن عبد الله ﷺ جـ٨ ص١٧٠، ١٩٤ .

[٤] جزء من حديث أخرجه الترمزى فى كتاب الطهارة باب ما جاء فى ماء البحر أنه طهور عن أبى هريرة ﷺ وقال عنه حسن صحيح جـ١ ص١٠٠، ١٠١ .

[٥] جزء من حديث أخرجه النسائى فى كتاب الوصايا باب إبطال الوصية للوارث عن عمرو ابن خارجة ﷺ جـ٦ ص٢٤٧ .

[٦] آية رقم ١٨٠ من سورة البقرة .

على أحد الوجوه فى تفسير الآية ... " ألخ [١]

ولمكانة السنة النبوية من القرآن الكريم أوصى النبى ﷺ بالتمسك بها والحرص عليها فقد روى العرباض بن سارية ﷺ فقال : (صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب ، فقال قائل يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا ؟ فقال ﷺ (أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبداً حبشياً فإنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء المهديين الراشدين ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة)[٢]

وعن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : " تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتى ، ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض [٣].

وكذا دعا النبى ﷺ لمن حرص على سماع الحديث فحفظه ثم قام بتبليغه فعن زيد بن ثابت ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " نضّر الله امرءاً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه ، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ورب حامل فقه ليس بفقيه " [٤]

كما حذر النبى ﷺ من دعاة الباطل الذين ينادون بالعمل بما جاء فى القرآن الكريم فحسب ويعرضون عما جاءت به السنة النبوية فقد روى المقدام بن معد يكرب

---

[١] الحديث والمحدثون ص٣٧، ٣٩ بتصرف

[٢] أخرجه أبو داود فى كتاب السنة باب فى لزوم السنة عنه بلفظه وسكت عنه جـ٤ ص٢٠٠ والترمذى فى كتاب العلم باب ما جاء فى الأخذ بالسنة واجتناب البدع عنه بنحوه وقال عنه (حديث حسن صحيح) جـ٥ ص٤٤، ٤٥ .

[٣] أخرجه الحاكم فى كتاب العلم باب خطبته ﷺ فى حجة الوداع عن أبى هريرة بنحوه جـ١ ص٩٣ وذكره الإمام مالك ضمن بلاغاته فى كتاب القدر باب النهى عن القول بالقدر مرسلاً جـ٢ ص٦٨٦ .

[٤] أخرجه أبو داود فى كتاب العلم باب فضل نشر العلم عنه بلفظه وسكت عنه جـ٣ ص٣٢١ وابن ماجة فى المقدمة باب من بلغ علماً عن زيد بن ثابت ﷺ بنحوه جـ١ ص٨٤ .

ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : " ألا إنى أوتيت الكتاب ومثله ومعه ، لا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ، ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلى ، ولا كل ذى ناب من السبع [١] " الحديث . وفى رواية " ألاهل عسى رجل يبلغه الحديث عنى وهو متكئ على أريكته فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه حلالاً استحللنها وما وجدنا فيه حراماً حرمناه ، وإن ما حرم رسول الله ﷺ كما حرم الله . [٢]

عناية الصحابة رضوان الله عليهم بالسنة النبوية

لقد علم الصحابة رضوان الله عليهم بمنزلة السنة من القرآن فجدوا فى طلبها . وحرصوا على حفظها ، وتحملوا المشاق من أجل تحصيلها . فها هو ذا الصحابى الجليل جابر بن عبد الله ﷺ يبلغه حديث عن النبى ﷺ لم يكن قد سمعه منه وقت حياته ﷺ فيشد رحله طالباً الحديث ممن سمعه من النبى ﷺ مباشرة زيادة فى الاستيثاق بحديث النبى ﷺ وطلباً لأجر الرحلة .

فقد حدَّث عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبى طالب أن جابر بن عبد الله - ﷺ حدَّثه قال : بلغنى عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ حديث سمعه من رسول الله ﷺ لم اسمعه منه ، قال فابتعت بعيراً ، فشددت عليه رحلى ، فسرت إليه شهراً حتى أتيت الشام ، فإذا هو عبد الله بن أنيس الأنصارى [٣] قال فأرسلت إليه أن جابراً على الباب .

قال : فرجع إلىَّ الرسول فقال : جابر بن عبد الله ؟ فقلت ، نعم .

---

[١] أخرجه أبو داود فى كتاب السنة باب لزوم السنة عنه بلفظه وسكت عنه جـ٤ ص١٩٩ .

[٢] أخرجه الترمذى فى كتاب العلم باب ما نهى عنه أن يقال عند حديث النبى ﷺ عن المقدام ﷺ بلفظه وقال عنه : حسن غريب من هذا الوجه " جـ٥ ص٣٨ .

[٣] هو عبد الله بن أُنَيس الجُهَنى ، أبو يحيى المدنى حليف الأنصار . روى عن النبى ﷺ وعن عمر، وعنه أبناؤه ضمرة وعبد الله وعطية وعمرو ، وعبد الرحمن وعبد الله ابنا كعب بن مالك وجابر بن عبد الله الأنصارى وغيرهم مات بالشام سنة ثمانين ، وقيل : مات فى خلافة معاوية سنة أربع وخمسين . تهذيب التهذيب جـ٤ ص٢٣٧ بتصرف .

قال : فرجع الرسول إليه . فخرج إليّ فاعتنقنى واعتنقته .

قال : قلت : حديث بلغنى أنك سمعته من رسول الله ﷺ فى المظالم لم أسمعه ، فخشيت أن أموت أو تموت قبل أن أسمعه ؟

فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول " يحشر الله العباد . أو قال : يحشر الله الناس

قال : وأومأ بيده إلى الشام – عراةً غرلًا[1] بهمًا " [2]

قلت : ما بُهمًا ؟

قال : ليس معهم شئ .

قال : " فيناديهم بصوت يسمعه مَنْ بَعُدَ كما يسمعه من قَرُبَ : أنا الملك الديان . لا ينبغى لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة . ولا ينبغى لأحد من أهل النار يدخل النار وأحد من أهل الجنة يطلبه بمظلمة حتى اللطمة". [3]

قال : قلنا : كيف هو وإنما نأتى الله تعالى عراةً غرلًا بهمًا ؟

قال : ﷺ " بالحسنات والسيئات " [4] .

---

[1] الغُرْلَةُ : جلدة الصبى التى تقطع فى الختان جمعها : غُرَل . المعجم الوجيز ص٤٤٩ .

[2] البُهْمُ : واحدها بهيم ، وهو الذى لا يخالط لو نه لون سواه . قال أبو عبيد " أراد بقوله بهمًا ليس فيهم شئ من الأعراض والعاهات التى تكون فى الدنيا من العمى والعور والعرج والجذام والبرص وغير ذلك ، ولكنها أجسام مبهمة مصححة لخلود الأبد . لسان العرب فى حرف الميم فصل الباء جـ١٢ ص٥٩ بتصرف .

[3] اللطم : الضرب على الوجه بباطن الراحة ؛ مختار الصحاح ص ٢٧٣ .

[4] أخرجه الحاكم فى كتاب التفسير باب تفسير سورة حم المؤمن عن عبد الله بن محمد عن جابر رضى الله عنهما بنحوه وقال عنه صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبى جـ ٢ ، ص ٤٣٧ ، ٤٣٨ . وأخرجه الخطيب فى كتاب الرحلة باب ذكر من رحل فى حديث واحد من الصحابة الأكرمين رضى الله عنهم عن عبد الله بن محمد بن عقيل بلفظه ص١٠٩ ، ١١١ .

وكذا حدّث عطاء بن أبى رباح قال : خرج أبو أيوب إلى عقبة بن عامر [١] وهو بمصر يسأله عن :

حديث سمعه من رسول الله ﷺ فلما قدم أتى منزل مَسْلَمَةَ بن مُخَلَّد الأنصارى [٢] وهو أمير مصر ، فأخبِر به فعجل فخرج إليه فعانقه .

وقال : ما جاء بك يا أبا أيوب ؟

قال : حديث سمعته من رسول الله ﷺ لم يبق أحد سمعه غيرى وغير عقبه. فابعث من يدلنى على منزله . قال : فبعث معه من يدله على منزل عقبة . فأخبر عقبة به فعجل فخرج إليه فعانقه .

وقال : ما جاء بك يا أبا أيوب ؟

فقال : حديث سمعته من رسول الله ﷺ لم يبق أحد سمعه غيرى وغيرك فى ستر المؤمن .

قال : نعم . سمعت رسول الله ﷺ يقول : " من ستر مؤمناً فى الدنيا على خَرِبَةٍ [٣] ستره الله يوم القيامة "

فقال له أبو أيوب : صدقت . ثم انصرف أبو أيوب إلى راحلته فركبها راجعاً إلى المدينة " [٤]

---

(١) عقبة بن عامر بن عبس بن عمرو بن عدى الجهنى الصحابى المشهور روى عن النبى ﷺ كثيراً وروى عنه جماعة من الصحابة والتابعين . مات سنة ثمان وخمسين . الإصابة جـ٤ص٤٢٩ ، ٤٣٠ بتصرف و أسد الغابة جـ٤ ، ص٥٣ ، ٥٤ بتصرف .

(٢) مَسْلَمَةُ بن مُخَلَّد بن الصامت الأنصارى الخزرجى ، روى عن النبى ﷺ وولى أمرة مصر فى خلافة معاوية وصدر من خلافة يزيد ، وتوفى بمصر سنة أثنتين وستين . الإصابة جـ٦ ص٩١،٩٣ بتصرف وأسد الغابة جـ٥ ص١٧٤ ، ١٧٥ بتصرف .

(٣) الخَرِبَةُ : قال ابن الأثير : أصلها العيب وجاء أيضاً بمعنى الجناية والبلية وبكسر الخاء هو الذى يستحيا منه لسان العرب فى حرف الباء فصل الخاء جـ١ ص٣٤٨ بتصرف .

(٤) أخرجه الخطيب فى كتاب الرحلة باب ذكر من رحل فى حديث واحد من الصحابة عنه بلفظه ص١١٨ ، ١٢٠ والحميدى فى مسنده تحت أحاديث أبى أيوب الأنصارى ﷺ عن عطاء بنحو جـ١ ص١٨٩،١٩٠ حديث رقم ٣٨٤ .

حفظ الصحابة رضوان الله عليهم للحديث النبوى وتثبتهم فى قبوله :

ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم مع جدهم فى طلب الحديث حريصين على حفظه فى الصدور والسطور . ومحافظين عليه حتى لا ينال منه الحاقدون والمفترون مع تثبتهم فى سماع الحديث وتبليغه .

فها هو ذا الصحابى الجليل أبو هريرة ﷺ يشتكى لرسول الله ﷺ نسيانه للحديث النبوى . ويلتمس منه الدعاء بحفظ ما يسمعه منه ﷺ .

فعن سعيد المقبرى عن أبى هريرة ﷺ قال : قلت يا رسول الله إنى أسمع منك حديثاً كثيراً أنساه . قال : " أبسط رداءك " فبسطته .

قال : فغرف بيديه ثم قال : " ضمه " فضممته فما نسيت شيئًا بعده " [١]

وها هو ذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ قال : " كنت أنا وجار لى من الأنصار فى بنى أمية بن زيد – وهى من عوالى المدينة – وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ ينزل يوماً وانزل يوماً ، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحى وغيره . وإذا نزل فعل مثل ذلك [٢] ... " الحديث .

وهذا هو عبد الله بن عمرو رضىَ الله عنهما كان يكتب كل شئ يسمعه من رسول الله ﷺ كى يحفظه . فقد روى عنه أنه قال : " كنت أكتب كل شئ أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه [٣] ..." الحديث .

---

[١] أخرجه البخارى فى كتاب العلم باب حفظ العلم عنه بلفظه جـ١ ص٢٥٩ فتح البارى . وأخرجه مسلم فى كتاب فضائل الصحابة باب فضائل أبى هريرة ﷺ بمعناه وهو جزء من حديث جـ١٦ ص٥٢ : ٥٤ .

[٢] أخرجه البخارى فى كتاب العلم باب التناوب فى العلم جـ١ ص٢٢٣ فتح البارى وأخرجه مسلم فى كتاب الطلاق باب بيان أن تخييره امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية عنه بنحوه جـ١٠ ص٨٩: ٩٤ .

[٣] تقدم تخريجه فى ص٢٩٦ .

ولشدة حرص الصحابة رضوان الله عليهم فى حفظ الحديث كانوا يتذاكرونه فيما بينهم ويحث بعضهم بعضاً على مذاكرته فقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال إذا سمعتم منا شيئاً فتذاكروه بينكم »[١]

ومع جد الصحابة رضوان الله عليهم واجتهادهم فى حفظ الحديث كانوا أيضاً يبذلون قصارى جهدهم فى التثبت من الأخبار التى تروى عن النبى ﷺ سواء أكان ذلك عند تحمل أم عند الأداء .

فها هو ذا الخليفة الأول للمسلمين أبو بكر الصديق ﷺ عندما أتته الجدة تطلب ميراثها قال لها : لا أعلم لك شيئاً فى كتاب الله تعالى ولا فى سنة رسول الله ﷺ ، فلما سأل بعض الصحابة أخبره أحدهم بأن النبى ﷺ قد أعطاها السدس ، فطلب أبو بكر ﷺ شاهداً آخر ليتأكد به هذا الخبر المروى عن النبى ﷺ .

فقد روى الإمام الحاكم بسنده عن قبيصة بن ذويب [٢] قال : جاءت الجدة فى عهد أبى بكر ﷺ تلتمس أن تورث . فقال أبو بكر : ما أجد لك فى كتاب الله شيئاً ، وما علمت أن رسول الله ﷺ ذكر لك شيئاً حتى أسأل الناس العشية . فلما صلى الظهر قام فى الناس يسألهم . فقال المغيرة بن شعبة : سمعت رسول الله ﷺ يعطيها السدس ، قال أبو بكر ﷺ سمع ذلك معك أحد ؟ فقام محمد بن مسلمة [٣] .

فقال : سمعت رسول الله ﷺ يعطيها السدس . فأنفذ ذلك لها أبو بكر ﷺ.[٤]

---

[١] أخرجه الخطيب فى شرف أصحاب الحديث تحت ذكر بعض الروايات عن الصحابة والتابعين فى الحث على حفظ الحديث ونشرة والمذاكرة به ص٩٥ .

[٢] قبيصة بن ذؤيب بن حلحة الخزاعى ، روى عن النبى ﷺ مرسلاً ، وعن عمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم ، وروى عنه الزهرى ومكحول ورجاء بن حيوة . كان ثقة مأموناً فى الحديث مات سنة ست وثمانين ، وقيل قبل ذلك الإصابة جـ٥ ص٣٩٠ : ٣٩١ بتصرف .

[٣] محمد بن مسلمة الأوسى الأنصارى روى عن النبى ﷺ وكان من فضلاء الصحابة روى عنه ابنه محمود ، وذؤيب والمسور بن مخرمة والأعرج و آخرون . ومات بالمدينة سنة ثلاث وأربعين . الإصابة جـ٦ ص٢٨، ٢٩ .

[٤] أخرجه الحاكم فى معرفة علوم الحديث فى النوع الثالث " معرفة صدق المحدث " ص٢٥، ٢٦ .

وروى ابن شهاب الزهرى " أن أبا بكر ﷺ حدَّث رجلاً حديثاً فاستفهمه الرجل إياه فقال أبو بكر : هو كما حدثتك ، أى أرض تلقنى إذا أنا قلت ما لم أعلم [١] .

وها هو ذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ لما سمع حديث أبى موسى ﷺ فى الاستئذان ، ولم يكن هو قد سمعه من النبى ﷺ طلب منه أن يأتى بصحابى آخر يكون قد سمع هذا الحديث من النبى ﷺ وليس هذا طعناً فى عدالة أبى موسى ﷺ ولا شكاً فى حفظه . وإنما هو التثبت فى الحديث النبوى كما أوضح هذا عمر نفسه بعد سماعه لهذا الحديث من أبى سعيد الخدرى ﷺ فقد روى الإمام مسلم بسنده عن أبى موسى الأشعرى ﷺ قال .

" جاء أبو موسى إلى عمر بن الخطاب فقال : السلام عليكم هذا عبد الله ابن قيس ، فلم يأذن له ، فقال : السلام عليكم هذا أبو موسى ، السلام عليكم هذا الأشعرى ، ثم انصرف . فقال : ردوا علىَّ ردوا علىَّ . فجاء . فقال : يا أبا موسى ما ردك . كنا فى شغل . قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : الاستئذان ثلاث . فإن أذن لك وإلا فارجع " قال " لتأتينى علىَ هذا ببينة وإلا فعلت وفعلت . فذهب أبو موسى قال عمر إن وجد بينة تجدوه عند المنبر عشية . وإن لم يجد بينة فلم تجدوه . فلما أن جاء بالعشى وجدوه .

قال : يا أبا موسى ما تقول أقد وجدت ؟ قال : نعم أبى بن كعب .

قال : عدل . قال يا أبا الطفيل ما يقول هذا ؟ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك . يا ابن الخطاب فلا تكونن عذاباً على أصحاب رسول الله ﷺ .

قال : سبحان الله إنما سمعت شيئًا فأحببت ان أتثبت " [٢]

---

[١] أورده أ.د/ محمد عجاج الخطيب فى السنة قبل التدوين تحت تثبت الصحابة والتابعين فى قبول الحديث ص١١٢ ، ١١٣ .

[٢] أخرجه المسلم فى كتاب الأدب باب الاستئذان بلفظه جـ١٤ ص١٣٤،١٣٥ .

وها هو الإمام على بن أبى طالب ﷺ كان إذا سمع من أحد حديثا استحلفه بالله على أنه قد سمعه من النبى ﷺ . فإن حلف صدقه وانتفع بما فيه . فعن أسماء بن الحكم الفزارى [١] قال : سمعت عليا يقول : " إنى كنت رجلا إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثا نفعنى الله منه بما شاء أن ينفعنى به ، وإذا حدثنى رجل من أصحابه استحلفته فإذا حلف لى صدقته .. [٢] " .... الحديث .

وعن سويد ين غفلة قال : قال : على ﷺ (إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ فلأن أخر من السماء أحب إلى من أن أكذب عليه ، وإذا حدثتكم فى ما بينى وبينكم فإن الحرب خدعة [٣]..)

ومن هذا نعلم أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا حريصين على حفظ الحديث والمحافظة عليه ، ولذا شدد خلفاء الرسول ﷺ فى قبول الحديث النبوى ، ولم يكن هذا بسبب طعنهم فى الصحابة رضوان الله عليهم ، ولا شكا منهم فى حفظهم للحديث ،وإنما فعلوا ذلك ليرسموا لنا الطريق الواجب اتباعه نحو الحديث النبوى ، كى لا يجد المنافقون والحاقدون الفرصة سانحة لهم فى وضع الأحاديث على النبى ﷺ .

ولقد وضح هذا جليا فى رد سيدنا عمر ﷺ على كلام أبى بن كعب ﷺ لما قال له " يا ابن الخطاب فلا تكونن عذابا على أصحاب رسول الله ﷺ..

قال – أى عمر بن الخطاب – سبحان الله إنما سمعت شيئا فأحببت أن أتثبت .

---

[١] أسماء بن الحكم الفزارى وقيل السلمى أبو حسان الكوفى . روى عن على بن أبى طالب ﷺ وروى عنه على بن ربيعة والركين بن الربيع هذيب قال ابن حيان عنه فى الثقات : يخطئ وقال العجلى : كوفى تابعى ثقة تهذيب التهذيب جـ١ ص٢٤٨ ، ٢٨٥ بتصرف

[٢] أخرجه الترمذى فى كتاب أبواب الصلاة باب ما جاء فى الصلاة عند التوبة بلفظة وقال عنه : حديث حسن جـ٢ ص٢٥٧،٢٥٨ و أخرجه ابن ماجة فى كتاب إقامة الصلاة باب ما جاء فى أن الصلاة كفارة عنه بنحوه جـ١ ص٤٤٦ .

[٣] أخرجه البخارى فى كتاب المناقب باب علامات النبوة فى الإسلام جـ٦ ص٧١٥ من فتح البارى

ولذا يقول الإمام النووى " وأما قول عمر لأبى موسى " أقيم عليه البينة فليس معناه رد خبر الواحد من حيث هو خبر واحد ولكن خاف عمر مسارعة الناس إلى القول على النبى ﷺ حتى يقول عليه بعض المبتدعين او الكاذبين أو المنافقين ونحوهم ما لم يقل . وإن كل من وقعت له قضية وضع فيها حديثاً على النبى ﷺ فأراد سد الباب خوفاً من غير أبى موسى لا شكاً فى رواية ابى موسى فإنه عند عمر أجل من ان يظن به أن يحدّث عن النبى ﷺ ما لم يقل بل أراد زجر غيره بطريقه . فإن من دون أبى موسى إذا رأى هذه القصة أو بلغته وكان فى قلبه مرض أو أراد وضع حديث خاف من مثل قضية أبى موسى . فامتنع من وضع الحديث والمسارعة إلى الرواية بغير يقين [١] " أ هـ .

وكذا جاء عن الحافظ ابن حجر خلال شرحه لهذا الحديث حيث قال :

" واستدل به من ادعى أن خبر العدل بمفرده لا يقبل حتى ينضم إليه غيره كما فى الشهادة . قال ابن بطال : " وهو خطأ من قائله وجهل بمذهب عمر ، فقد جاء فى بعض طرقه أن عمر قال لأبى موسى " أما إنى لم أتهك ولكنى أردت أن لا يتجرأ الناس على الحديث عن رسول ﷺ ... " [٢] فيؤخذ منه التثبت فى خبر الواحد لما يجوز عليه من السهو وغيره ، وقد قبل عمر خبر العدل الواحد بمفرده فى توريث المرأة من دية زوجها ، وأخذ الجزية من المجوس إلى غير ذلك ، لكنه كان يتثبت إذا وقع له ما يقتضى ذلك [٣] " أ هـ .

وقال ابن عبدالبر " يحتمل أن يكون حضر عنده من قرب عهده بالإسلام فخشى أن أحدهم يختلق الحديث عن رسول الله ﷺ عند الرغبة والرهبة طلباً للمخرج مما يدخل فيه . فأراد أن يعلمهم أن من فعل شيئاً من ذلك ينكر عليه حتى يأتى بالمخرج [٤] أهـ

---

[١] صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١٤ صـ ١٣١ : ١٣٢ .

[٢] أخرجها الأمام مالك فى كتاب الاستئذان جـ ٢ صـ ٧٣٤ ، ٧٣٥ .

[٣] فتح البارى جـ ١١ صـ ٣٢ بتصرف .

[٤] التمهيد لابن عبدالبر جـ ٣ صـ ٢٠٠ بتصرف .

تنزيل الصحابة السنة النبوية منزلة القرآن فى العمل والاستدلال :

" لقد ضرب لنا الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أمثلة واضحة تعرب عن مدى عنايتهم بالسنة النبوية وتنزيلها منزلة القرآن الكريم فى وجوب العمل بها والاستدلال " .

فها هو ذا عبدالله بن مسعود رضى الله عنه يقول : " لعن الله الواشمات والموتشمات والمتنمصات ، والمتفلجات للحسن ، المغيرات خلق الله ، فبلغ ذلك امرأة من بنى أسد يقال لها أم يعقوب . ؛

فجاءت فقالت : إنه بلغنى أنك لعنت كيت وكيت .

فقال : ومالى لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ . ومن هو فى كتاب الله .

فقالت : لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدت فيه ما تقول .

قال : لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه ، أما قرأت (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا[1]) الآية . قالت : بلى . قال : فإنه قد نهى عنه . فقالت : فإنى أرى أهلك يفعلونه . قال : فاذهبى فانظرى . فذهبت فنظرت فلم تر من حاجتها شيئاً . فقال : لو كانت كذلك ما جامعتها[2] "

وها هو ذا عمران بن حصين رضى الله عنه يذكر ذات يوم فى مجلسه حديث الشفاعة فقال رجل من القوم : يا أبا نجيد إنكم تحدثونا بأحاديث لم نجد لها أصلاً فى القرآن . فغضب عمران وقال للرجل " قرأت القرآن ؟ قال : نعم ؛ قال: فهل وجدت فيه صلاة العشاء أربعاً ، ووجدت المغرب ثلاثاً ، والغداة ركعتين ، والظهر

---

(١) جزء من الآية رقم ٧ سورة الحشر .

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب التفسير باب " وما آتاكم الرسول فخذوه " عنه بلفظه جـ ٨ ص ٤٩٨. ومسلم فى كتاب اللباس باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة عنه بنحوه جـ ١٤ ص١٠٥: ١٠٧

أربعاً والعصر أربعاً ؟ قال : لا . قال : فعمن أخذتم ذلك ، ألستم عنا أخذتموه وأخذناه عن رسول الله ﷺ ؟ أوجدتم فيه فى كل أربعين شاة شاة ، وفى كل كذا بعير كذا وفى كل كذا درهم كذا ؟ قال : لا .

قال : فعمن أخذتم ذلك . ألستم عنا أخذتموه وأخذناه عن النبى ﷺ ؟ وقال فى القرآن (وليطوفوا بالبيت العتيق[١]) أوجدتم فيه فطوفو سبعاً واركعوا ركعتين خلف المقام ؟ أوجدتم فى القرآن " لا جلب [٢] ولا جنب [٣] ولا شغار [٤] فى الإسلام [٥] " ؟ أما سمعتم الله قال فى كتابه (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا[٦]) ؟ قال عمران : فقد أخذنا عن رسول الله ﷺ أشياء ليس لكم بها علم " [٧] .

---

(١) جزء من الآية رقم ٢٩ سورة الحج .

(٢) ،(٣) قال أبوعبيد الجَنَبُ فى شيئين يكون فى سباق الخيل وهو أن يتبع الرجل فرسه فيزجره حثاً له . ففى ذلك معونة للفرس على الجرى فنهى عن ذلك . والوجه الآخر فى الصدقة أن يقدم المصدق على أهل الزكاة فينزل موضعاً ثم يرسل إليهم الأموال من إمكانها ليأخذوا صدقاتها فنهى عن ذلك وأمر أن يأخذ صداقاتهم من أماكنهم وعلى مياهم وبأفنيتهم . الجَنَبُ فى السباق أن يجنب فرساً عند الرهان إلى فرسه الذى يسابق عليه فإذا فتر المركوب تحول إلى المجنوب . وفى الزكاة أن ينزل العامل لأقصى مواضع أصحاب الصدقة ثم يأمر بالأموال أن تجنب إليه أى تحضر فنهوا عن ذلك . لسان العرب حرف الباء فصل الجيم جـ ١ صـ ٢٦٩ : ٢٧٧ بتصرف

(٤) الشغار بالكسر : نكاح كان فى الجاهلية وهو أن يقول الرجل لآخر زوجنى ابنتك أو أختك على أن أزوجك ابنتى أو أختى على أن صداق كل واحدة منهما بضع الآخرى . مختار الصحاح صـ ١٦٧ .

(٥) أخرجه الترميذى فى كتاب النكاح باب ما جاء فى النهى عن نكاح الشغار عن عمران بن حصين رضى الله عنه بزيادة ((ومن أنتهب نهبة فليس منا)) وقال عنه حديث حسن صحيح جـ ٣ صـ ٤٢٢ وأخرجه النسائى فى كتاب النكاح باب الشغار عن عمران بن حصين رضى الله عنه بلفظ الترمذى جـ٦ صـ ١١٠ ، ١١١ .

(٦) جزء من الآية رقم ٧ سورة الحشر .

(٧) أورده العلامة الدكتور عبدالغنى عبدالخالق فى حجية السنة صـ٣٣٠ وعزاه إلى الإمام البيهقى فى المدخل والحاكم . وأخرجه الحاكم فى كتاب العلم عنه بنحوه جـ ١ صـ ١٩٣ حديث رقم٣٧٣ .

وأخرج الإمام مالك عن ابن شهاب عن رجل من آل خالد بن أسيد : أنه سأل عبدالله ابن عمر فقال : يا أبا عبدالرحمن إنا نجد صلاة الخوف وصلاة الحضر فى القرآن ، ولا نجد صلاة السفر ؟

فقال ابن عمر : " يا ابن أخى إن الله عز وجل بعث إلينا محمداً ﷺ ولا نعلم شيئاً ، فإنما نفعل كما رأيناه يفعل " [١] .

وهكذا كان الصحابة رضوان الله عليهم حافظين للسنة النبوية عارفين منزلتها ، مقدرين لها قدرها .

موقف التابعين من السنة النبوية :

وكذا علم التابعون رحمة الله عليهم بمنزلة السنة النبوية من القرآن الكريم ، فتوافرت رغباتهم فى تحصيلها ، وانبعثت عزائمهم على تبليغها وسافروا إلى البلاد فى طلبها ، وهان عليهم الدأب [٢] والكلال [٣] واستوطنوا مركب الحل والترحال .

وبذلوا فى سبيل تحصيلها الأنفس والأموال ، حتى أصبحوا شعث الرؤس شحب الألوان . خمص البطون نواحل الأبدان متشبهين بالصحب الكرام أهل البيعتين والرضوان .

فها هو ذا عبدالله بن الديلمى يرحل من بيت المقدس إلى المدينة المنورة ليستوثق من حديث سمعه عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما .

فقد أخرج الإمام الخطيب البغدادى بسنده عن ربيعة بن يزيد قال : سمعت ابن الديلمى يقول : " بلغنى حديث عن عبدالله بن عمرو بن العاص . فركبت إليه إلى الطائف أسأله عنه ، وكان ابن الديلمى بفلسطين .

---

[١] أخرجه الإمام مالك فى كتاب وباب قصر الصلاة فى السفر جـ١صـ١٣٨ .

[٢] دَأَبَ فى عمله : جدّ وتَعِبَ . مختار الصحاح صـ ١٠٧ .

[٣] الكَلُّ : العيال والثقل واليتم والذى لا ولد له ولا والد . مختار الصحاح صـ ٢٦٤ .

قال : فدخلت عليه وهو فى حديقة له ، فوجدته مختصراً [١] بيد رجل كنـــا نتحـدث بالشام أن ذلك الرجل من شربة الخمر .

قال فقلت له : يا أبا محمد هل سمعت رسول الله ﷺ يقول فى شارب الخمر شيئاً ؟

قال : فاختلج الرجل يده من يد عبدالله بن عمرو .

فقال : نعم . سمعت رسول الله ﷺ يقول " من شرب الخمر لم يقبل له صلاة أربعيـن صباحاً " [٢] .

قلت : ما حديث بلغنى عنك تقوله : " إن صلاة فى بيت المقدس كألف صـــلاة ، وإن القلم قد جف " ؟

فقال عبدالله : اللهم إنى لا أحل لهم أن يقولوا إلا ما سمعوا منى . قالها ثلاثاً .

قال : ولكنى سمعت رسول الله ﷺ يقول " إن سليمان بن داود سأل الله ثلاثاً : ســأله ملكاً لا ينبغى لأحد من بعده فأعطاه ، وسأله حكماً يصادف حكمـــه فأعطـاه إيـاه ، وسأله من أتى هذا البيت لا يريد إلا الصلاة فيه أن يغفر له " [٣] .

وهاهو ذا أبو عثمان النهدى يقول : بلغنى عن أبى هريرة حديث أنـــه قـال " إن الله ليكتب لعبده المؤمن بالحسنة الواحدة ألف ألف حسنة " .

فحججت ذلك العام ولم أكن أريد الحج إلا للقائه فى هذا الحديث ، فأتيت أبـا هريـرة فقلت : يا أبا هريرة بلغنى عنك حديث . فحججت العام ولم أكن أريد الحج إلا لألقاك "

---

[١] الخَصْرُ : وسط الإنسان . وخاصره : أخذ بيده فى المشى مختار الصحاح صـ ٩٨ .

[٢] جزء من حديث أخرجه أبو داود فى كتاب الأشربة باب النهى عن السكر عن ابن عباس رضـى الله عنهما بنحوه . وسكت عنه . جـ ٣ صـ ٣٢٦ . وأخرجه الترمذى فى كتاب الأشربة بـاب ما جاء فى شارب الخمر عن عبدالله ابن عمر رضى الله عنهما بلفظ مقارب وهـو جـزء مـن حديث ، وقال عنه : حديث حسن جـ ٤ صـ ٢٩٠ ، ٢٩١ .

[٣] أخرجه الخطيب البغدادى فى كتاب الرحلة باب الرواية عن التابعين والخالفين صـ ١٣٤ : ١٣٦

قال :فما هو ؟ قلت : " إن الله ليكتب لعبده المؤمن بالحسنة الواحدة ألف ألف حسنة"

فقال أبو هريرة : ليس هكذا قلت . ولم يحفظ الذى حدّثك " .

قال أبو عثمان : فظننت أن الحديث قد سقط .

قال : إنما قلت " إن الله ليعطى عبده المؤمن بالحسنة الواحدة ألفى ألف حسنة " .

ثم قال : أو ليس فى كتاب الله تعالى ذلك ؟ قلت كيف .

قال : لأن الله يقول "من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة[1] " الآية والكثيرة عند الله أكثر من ألفى ألف . وألفى ألف [2] " .

وها هو ذا صالح بن صالح بن حى الهمدانى يقول : جاء رجل إلى الشعبى وأنا عنده فقال : يا أبا عمرو إن ناساً عندنا يقولون :

" إذا أعتق الرجل أمته ثم تزوجها فهو كالراكب بَدَنَتَهُ[3] .

قال الشعبى : حدثنى أبو بردة بن أبى موسى عن أبيه أن رسول الله ﷺ

قال " ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين : الرجل من أهل الكتاب كان مؤمناً قبل أن يبعث النبى ﷺ فله أجران ، ورجل كانت له جارية فعلمها فأحسن تعليمها . وأدبها فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران ، وعبد أطاع الله وأدى حق سيده فله أجران[4]" .

---

[1] جزء من الآية رقم ٢٤٥ سورة البقرة .

[2] أخرجه الخطيب البغدادى فى كتاب الرحلة باب ذكر الرواية عن التابعين والخالفين صـ١٣٢:١٣٤

[3] البَدَنَةُ : ناقة أو بقرة تنحر بمكة سميت بذلك لأنهم كانوا يسمنونها . مختار الصحاح صـ٤٢ .

[4] أخرجه البخارى فى كتاب العلم باب تعليم الرجل أمته وأهله عنه بنحوه جـ١ صـ٣٣٩ ومسلم فى كتاب الإيمان باب وجوب الإيمان برسالة النبى ﷺ عنه بنحوه جـ٢ ص١٨٦: ١٨٩ .

خذها بغير شئ فلقد كان الرجل يرحل فى أدنى منها إلى المدينة [١] .

ومع جد التابعين رحمة الله عليهم واجتهادهم فى طلب الحديث النبوى كانوا أيضاً عارفين له قدره ومنزلينه منزلة القرآن الكريم فى الاحتجاج به والاستدلال .

فها هو ذا الإمام الشافعى رحمة الله عليه كان جالساً ذات يوم فى المسجد الحرام يحدِّث أصحابه .

فقال : " لا تسألونى عن شئ إلا أجبتكم فيه من كتاب الله تعالى .

فقال الرجل : ما تقول فى المحرم إذا قتل الزنبور ؟

فقال : لا شئ عليه .

فقال : الرجل : أين هذا من كتاب الله ؟

فقال : قال الله تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه [٢]) . ثم ذكر إسناداً إلى النبى ﷺ أنه قال " عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى [٣] ... " .

ثم ذكر إسناداً إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال " للمحرم قتل الزنبور " [٤]

ولما علم التابعون بأن القرآن الكريم متوقف على بيان السنة له جعلوا طلب الحديث النبوى بمثابة قراءة القرآن الكريم ، فعن سليمان التيمى قال : كنا عند أبى مجلز [٥] وهو يحدثنا ، قال : فقال رجل : لو قرأتم سورة ؟

---

(١) أخرجه الخطيب فى كتاب الرحلة باب ذكر الرواية عن التابعين والخالفين صـ ١٤٠، ١٤١

(٢) جزء من الآية رقم ٧ سورة الحشر .

(٣) تقدم تخريجه فى صـ ٢٣٢ .

(٤) أورده الدكتور عبدالغنى فى حجية السنة صـ ٣٨٨ .

(٥) أبومِجْلَز هو : لاحق بن حميد بن سعيد السدوسيى البصرى الأعور . روى عن أبى موسى الأشعرى ، وابن عباس ، والمغيرة بن شعبة وحفصة وأم سلمة رضى الله عنهم . وعنه قتادة وسليمان التيمى ، وعاصم الأحول . قال عنه العجلى : تابعى ثقة . مات سنة تسع ومائة تهذيب التهذيب جـ ٩ صـ ١٨٩ ، ١٩٠ بتصرف .

فقال أبو مِجْلَز : " ما الذى نحن فيه بأنقص إلىَّ من قراءة سورة [١] " .

بل منهم من جعل طلب الحديث أرفع درجة من نافلة الصلاة والصيام ، فقد كان وكيع [٢] رحمه الله يقول : " لو أعلم أن الصلاة أفضل من الحديث ما حدثت " [٣] وبنحو هذا جاء عن القعنبى [٤] .

وها هو ذا عمر بن سهيل يسأل المعافى بن عمران [٥] فيقول له : يا أبا عمران أى شئ أحب إليك : أصلى أو أكتب الحديث ؟

فقال : كتاب حديث واحد أحب إلىَّ من صلاة ليلة [٦] " .

وحدَّث محمد بن أحمد بن أبى الثلج قال : حدثنى جدى قال : آليت [٧] أحمد بن حنبل قلت : يا أبا عبدالله أيهما أحب إليك : الرجل يكتب الحديث أو يصوم ويصلى ؟ قال : يكتب الحديث .

قلت : فمن أين فضلت كتاب الحديث على الصوم والصلاة ؟ قال : لئلا يقول قائل إنى رأيت قوماً على شئ فاتبعتهم [٨] " .

---

[١] أخرجه الخطيب فى شرف أصحاب الحديث صـ ٨٣ .

[٢] وكيع هو : وكيع بن الجراح بن قليح الرؤاسى ، أبوسفيان الكوفى الحافظ . روى عن أبيه وهشام بن عروة ، والأعمش ، وروى عنه أبناؤه . وشيخه سفيان الثورى ، وعبدالرحمن ابن مهدى . قال عنه عبدالله بن أحمد عن أبيه : ما رأيت أوعى للعلم من وكيع ولا أحفظ منه ، مات سنة ست وتسعين ومائة . تهذيب التهذيب جـ ٩ صـ ١٣٩ : ١٤٥ بتصرف .

[٣] ، [٤] أخرجهما الخطيب فى شرف أصحاب الحديث صـ ٨٤ .

[٥] هو المُعَافَى بن عمران بن نفيل الأزدى الموصلى . روى عن أبى جريج والثورى والأوزاعى ، وعنه ابن المبارك ووكيع ، قال عنه ابن معين وأبو حاتم والعجلى : ثقة . مات سنة خمس وثمانين ومائة . تهذيب التهذيب جـ ٨ صـ ٢٣٣ : ٢٣٥ .

[٦] أخرجه الخطيب فى شرف أصحاب الحديث صـ ٨٤ .

[٧] آلى يؤلى إيلاء : حلف . مختار الصحاح ص ٣٣ .

[٨] أخرجه الخطيب فى شرف أصحاب الحديث صـ ٨٥ ، ٨٦ .

ولعلمهم بمنزلة الحديث النبوى ومكانته تلك كانوا له مجلين ، وفى مجالسه متأدبين ، وعند التحديث به متطهرين ، ولشيوخهم موقرين ، وقبل سماعه وتبليغه متثبتين .

فقد روى عن شعبة أنه قال : " كان قتادة لا يحدث عن رسول الله ﷺ إلا وهو على طهارة " (١) .

وعن عبدالرحمن بن أبى الزناد قال : ذكر سعيد بن المسيب حديثاً عن رسول الله ﷺ وهو مريض فقال : أجلسونى فأنى أكره أن أحدث حديث رسول الله ﷺ وأنا مضجع(٢) .

وعن أبى مصعب قال : " كان مالك بن أنس لا يحدث بحديث رسول الله ﷺ إلا وهو على وضوء إجلالاً لحديث رسول الله ﷺ " (٣) .

وعن إسماعيل بن أبى أويس قال : كان مالك بن أنس إذا أراد أن يحدّث توضأ وجلس على صدر فراشه ، وسرح لحيته ، وتمكن فى جلوسه بوقار وهيبة ، وحدّث . فقيل له فى ذلك ؟

فقال : " أحب أن أعظم حديث رسول الله ﷺ ولا أحدث إلا على طهارة متمكنًا " (٤) .

ولقد وضح لنا الإمام يحيى بن سعيد الخصال التى ينبغى لطالب الحديث أن يتخلق بها فقال رحمهَ الله : " ينبغى لطالب الحديث أن يكون ثبت الأخذ ، ويفهم ما يقال له ، ويبصر الرجال ، ثم يتعهد ذلك " (٥) .

وها هو ذا الإمام يحيى بن معين . إمام الجرح والتعديل ، كان يختبر شيوخه قبل أن يأخذ منهم الحديث ، فمن عرف حفظه وضبطه أخذ عنه .

---

(١) ، (٢) ، (٣) أخرجه ابن عبدالبر فى جامع بيان العلم وفضله باب ذكر بعض من كان لا يحدث عن رسول الله ﷺ إلا وهو على وضوء جـ ٢ ص ١٩٩ .

(٤) أخرجه ابن صلاح فى كتابه علوم الحديث تحت معرفة آداب الحديث ص ٢٤٠ .

(٥) أخرجه الحاكم فى معرفة علوم الحديث تحت معرفة صدق المحدث ص ٢٦ .

فقد روى أحمد بن منصور الرمادى قال : " خرجت مع أحمد [١] ويحيى [٢] إلى عبدالرزاق أخدمهما ، فلما عدنا إلى الكوفة قال يحيى لأحمد : أريد أختبر أبا نعيم .

فقال : له أحمد : لا تزيد الرجل إلا ثقة .

فقال : يحيى لابد لى . فأخذ ورقة وكتب فيها ثلاثين حديثاً من حديث أبى نعيم ، وجعل على رأس كل عشرة منها حديثاً ليس من حديثه ، ثم جاءوا إلى أبى نعيم . فخرج فجلس على دكان ، فأخرج يحيى الطبق وقرأ عليه عشرة ثم قرأ الحادى عشر،

فقال أبو نعيم : ليس من حديثى اضربْ عليه .

ثم قرأ العشر الثانى وأبو نعيم ساكت . فقرأ الحديث الثانى فقال : ليس من حديثى اضرب عليه . ثم قرأ العشر الثالث . وقرأ الحديث الثالث فانقلبت عيناه وأقبل على يحيى وقال : أما هذا – وذراع أحمد فى يده – فأورع من أن يعمل هذا ، وأما هذا – يريدنى – فأقل من أن يعمل هذا ، ولكن هذا من فعلك يا فاعل . ثم أخرج رجله فرفسه فرمى به وقام فدخل دارد .

فقال أحمد ليحيى : ألم أقل لك أنه ثبت .

قال : والله لرفسته أحب إلىّ من سفرتى [٣] .

ولقد أحسن الإمام الخطيب فى وصفه لأهل الحديث من الصحابة والتابعين بما هم أهل له فقال رحمه الله : (وقد جعل الله تعالى أهله – أهل الحديث – أركان الشريعة ، وهدم بهم كل بدعة شنيعة ، فهم أمناء الله من خلقه ، والواسطة بين النبى ﷺ وأمته ، والمجتهدون فى حفظ ملته ، أنوارهم زاهرة ، وفضائلهم سائرة ، وآياتهم باهرة ، ومذاهبهم ظاهرة ، وحججهم قاهرة ، وكل فئة تتحيز إلى هوى

---

(١) ، (٢) المراد هما أحمد بن حنبل ويحيى بن معين

(٣) أورده الخطيب فى كتابه الرحلة تحت طرائف من رحلات المحدثين ص ٢٠٨ .

ترجع إليه ، أو تستحسن رأيا تعكف عليه سوى أصحاب الحديث ، فإن الكتاب عدتهم ، والسنة حجتهم ، والرسول فئتهم ، وإليه نسبتهم ، لا يعرجون على الأهواء ، ولا يلتفتون إلى الآراء ، يقبل منهم ما رووا عن الرسول ، وهم المأمونون عليه والعدول ، حفظة الدين وخزنته ، وأوعية العلم وحملته ، إذا اختلف فى حديث كان إليهم الرجوع ، فما حكموا به فهو المقبول المسموع ، ومنهم كل عالم فقيه ، وإمام رفيع نبيه ، وزاهد فى قبيلة ، ومخصوص بفضيلة ، وقارئ متقن ، وخطيب محسن ، وهم الجمهور العظيم ، وسبيلهم السبيل المستقيم ..... [1]) الخ .

وهكذا كان الصحابة والتابعون رضوان الله عليهم عارفين للسنة النبوية قدرها ، رافعين شأنها ، حافظين لنصوصها ، غير عابئين بمشاق الرحلة وغربة الأهل والوطن فى سبيل تحصيلها ، وبصنعيهم هذا سنوا لمن خلفهم السبيل الذى ينبغى أن يسلكوه لحفظ السنة النبوية والمحافظة عليها ، ولذا كتب الخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز إلى أبى بكر بن حزم فقال : " انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه فإنى خفت دروس [2] العلم وذهاب العلماء ..... " [3] الحديث وعندئذ أهتم علماء القرن الثانى بتدوين الحديث وكتابته وتنافسوا على جمعه وتحصيله إلا أن السمة الغالبة لدا علماء هذا القرن كانت هى الجمع والتدوين دون تمييز الصحيح فيها من السقيم ، فاختلط بهذا الحديث الصحيح بالضعيف وتداخلت الآثار مع الأحاديث .

ولما طلع القرن الثالث الهجرى بنجومه الزاهرة وكواكبه الساطعة قاموا بتنقيح تلك الأحاديث وتمييز الصحيح فيها من الضعيف ، ودونوا على هذا النحو التصانيف الجليلة والتآليف الجميلة . ولقد كان على رأس هذه الكتب المنيرة كتب السنة الستة التى أشرقت شموسها فاستنار بضوئها العلماء ونهل من معينها

---

[1] الرحلة فى طلب الحديث صـ ٢٢٢ .

[2] دَرَسَ دَرْساً ودُرُوساً : عفا وذهب أثره . المعجم الوجيز صـ ٢٢٥ .

[3] أورده البخارى بصيغة الجزم فى كتاب العلم باب كيف يقبض العلم جـ١صـ ٢٣٤ وأخرجه الدرامى فى المقدمة باب من رخص فى كتابة العلم عن عبدالله بن دينار بنحوه جـ١صـ ١٢٦

الفضلاء ، ولما كانت تصانيف هذا العصر والذى قبله قد حوت من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة عكف على خدمتها العلماء وقام بشرحها الفضلاء فأظهروا لنا ما حوته من درر مصونة ولآلئ مستورة .

وبهذا تكون السنة النبوية قد حظيت بعناية علماء كل عصر وفضلاء كل مصر ، منذ عهد الصحابة رضوان الله عليهم حتى يومنا هذا . وذلك لما لها من مكانة عظيمة ومنزلة رفيعة تعدل منزلة القرآن الكريم فـ ﷺ على صاحبها أفضل صلاة وأكمل تسليم ، ورضى الله عن الصحب الكرام والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، وكتبنى الله من خدمة سنة نبيه الأمين ﷺ

اللهم أمين وآخر دعوانا أن الحمد الله رب العالمين .

فهرست المراجع

م	اســـــــــم الكتـــــاب	مؤلف الكتاب	طبعة الكتاب
١	أسد الغابة فى معرفة الصحابة	ابن الأثير الجذرى	الشعب
٢	أعلام الموقعين عن رب العالمين	ابن قيم الجوزية	دار الحديث
٣	الأدب المفرد	البخارى	دار الكتب العلمية
٤	الإصابة فى تمييز الصحابة	ابن حجر	دار الكتب العلمية
٥	تفسير ابن كثير	ابن كثير	الأنوار المحمدية
٦	تهذيب التهذيب	ابن حجر	دار الفكر
٧	التمهيد لما فى الموطأ من المعانى والأسانيد	ابن عبدالبر	الطبعة الثانية
٨	جامع بيان العلم وفضله	ابن عبدالبر	-----
٩	حجية السنة	عبدالغنى عبدالخالق	دار القرآن الكريم
١٠	حلية الأولياء	أبو نعيم	دار الكتب العلمية
١١	الحديث والمحدثون	محمد أبو زهو	دار الكتاب العربى
١٢	الرحلة فى طلب الحديث	الخطيب البغدادى	دار الكتب العلمية
١٣	الرسالة	الشافعى	دار الكتب العلمية
١٤	سنن ابن ماجه	ابن ماجه	دار الحديث
١٥	سنن أبى داود	أبو داود	دارالريان للتراث
١٦	سنن الترمذى	الترمذى	دار الحديث
١٧	سنن الدارمى	الدارمى	دار الكتب العلمية
١٨	سنن النسائى	النسائى	دارالريان للتراث
١٩	السنة قبل التدوين	محمد عجاج	دار الفكر
٢٠	شرف أصحاب الحديث	الخطيب البغدادى	دار إحياء السنة
٢١	صحيح البخارى بشرح ابن حجر	البخارى	دارالريان للتراث
٢٢	صحيح مسلم بشرح النووى	مسلم	دارالريان للتراث
٢٣	كشف الخفاء	العجلونى	مؤسسةمناهل العرفان

فهرست المراجع

م	اســـــــم الكتاب	مؤلف الكتاب	طبعة الكتاب
٢٤	لسان العرب	ابن منظور	دار صادر بيروت
٢٥	مختار الصحاح	أبوبكر الرازى	دار المنار
٢٦	مسند أحمد	أحمد بن حنبل	دار صادر بيروت
٢٧	مسند الحميدى	الحميدى	-------
٢٨	معرفة علوم الحديث	الحاكم	دار الهلال بيروت
٢٩	مقدمة ابن صلاح	ابن الصلاح	-----
٣٠	المستدرك على الصحيحين	الحاكم	دار الكتب العلمية
٣١	المعجم الوجيز	مجمع اللغة العربية	وزارة التربية والتعليم
٣٢	الموافقات فى أصول الشريعة	أبو أسحاق الشاطبى	دار الفكر
٣٣	الموطأ	مالك	دار الحديث